

موقع التواصل الاجتماعي و أثرها على القيم الأسرية
"التغيير والمخاطر وآليات الوقاية"

*Social media sites and their impact on family values
"Change .risks. Prevention mechanisms"*

إيمان عتيق طالبة دكتوراه علم الاجتماع التربوي، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس /الجزائر
¹ atigim067@gmail.com

تاريخ النشر: 2020-06-10

تاريخ المراجعة: 2020-01-19

تاريخ استلام المقال: 2020-12-03م

الملخص:

بعد بروز شبكة الانترنت في القطاع العسكري الحربي انتشر تواجدها في كل المجالات العلمية والعملية، وبدأ الحديث حول ما تحمله من مضامين وانعكاساتها على المجتمع بما في ذلك أهم ما جاءت به وهي مواقع التواصل الاجتماعي، وكيف أثرت هذه الأخيرة على عملية التواصل وتبادل الأفكار والانتشار السريع للأخبار وللأحداث في عالم تكتنفه الآراء المتضاربة والاتجاهات المتعاكسة حيث ظهرت دراسات تملي بمخاطر هذه الوسيلة خاصة بعد سوء استخدامها من قبل الأفراد والمؤسسات. ما جعل الإشكال التالي يتبادر أذهاننا بصيغة: ما هي مخاطر مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على القيم الأسرية؟ وكيف تتم آليات الوقاية منها؟

الكلمات المفتاحية: الانترنت – مواقع التواصل الاجتماعي – القيم الأسرية – التغيير – المخاطر والوقاية.

Abstract:

After the emergence of the Internet in the military sector has spread its presence in all areas of scientific and practical, and began to talk about the implications of the implications and implications for the community, including the most important of which are social networking sites, and how it affected the process of communication and exchange of ideas and the rapid spread of news and events A world of contradictory views and contradictory trends, where studies have been dictated by the dangers of this method, especially after misuse by individuals and institutions. The following forms come to mind in the form: What are the risks of Social media sites and their impact on family values? And how to prevent them?

Keywords: Internet – social media sites – family values- change-risks and prevention.

مقدمة

ترتبط التكنولوجيا بالعديد من الآليات وأدوات المختلفة، تقوم بلعب دو هام في نشر الثقافات والإيديولوجيات المختلفة قد تشكل خطرا كبيرا على المجتمعات المتلقية لهذه الأدوات الجديدة، التي تدخل كثقافة مضادة لما تحتويه هذه المجتمعات، وهنا تحدث العديد من المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي تؤثر ليس فقط على الأفراد والجماعات بل تؤثر على المجتمع ككل في انهياره وهدمه ثقافيا وأخلاقيا.

ومن أهم هذه الآليات هو ظهور الانترنت كأحد الوسائل التي ظهرت مع الثورة التكنولوجية التي كانت لها الأثر الأكبر في العديد من الظواهر الاجتماعية المختلفة سواء كانت ايجابية أو سلبية مختلفة حيث يساهم هذا كله في عملية التغيير المتصلة بالأوضاع والاتجاهات ومواقف مستعملها.

1: الانترنت *Internet*

ظهرت شبكة الانترنت وتوسعت وتطورت، نظرا لكثرة المعلومات والبيانات التي يمكن الاستفادة منها، إضافة وجود قدر هائل من التنوع من هذه المعلومات، ما بين علمية بحثية، وثقافية عامة.

ويمكن تعريف شبكة الانترنت بأنها شبكة كمبيوتر عملاقة، بل هي أكبر شبكات الكمبيوتر على سطح هذا الكوكب، واسم الانترنت *Internet* مشتقة من اللغة الإنجليزية *internconnection network*، أي شبكة التشبيك، ويعني أنها تربط مجموعة من أجهزة الكمبيوتر المتصلة ببعضها البعض، وتستطيع تبادل المعلومات فيما بينها. (محمد عباس، 2016، ص 45)

أي أنها تتألف من مجموعات الحواسيب المحلية العامة والخاصة الموجودة ضمن نطاق الشبكة، وتتصل معا ضمن نطاق اتصالات خاصة يحقق الاندماج بينها لتحقيق التواصل، وفي نفس الوقت لضمان التخاطب والتواصل بين مختلف الحاسبات الآلية عبر العالم كله، فقد وجدت الانترنت الموحدة، والتي تعنى بجعل تبادل المعلومات والبيانات عملية قياسية ومتاحة، بغض النظر عن نظام المستخدم في طريقة الاتصال، بحيث يمكن للمستخدم لها الدخول الى أي منها في أي وقت ومن أي مكان يتواجد به، حتى لو كان في الفضاء.

ومن ثم فإن شبكة الانترنت تقدم خدمات جليلة لمستخدميها يمكن إجمالها في التالي:

1- البريد الإلكتروني مع كل أنحاء العالم.

2- الحصول على الوسائل العلمية والكتب والمعلومات الخاصة بالعلوم وملحقاتها، والتي قد لا تتوفر في المكتبات العامة.

3- مشاهدة الأحداث العالمية فور وقوعها وتفصيلها بصورة أفضل من تلك التي تبث عبر الإذاعة والقنوات التلفزيونية والصحف.

4- متابعة أسواق المال والأسهم والسندات

5- نشر ثقافة الشعوب والدول على نحو يزيل الخطأ واللبس الثابت لدى بعض الطوائف والأديان.

6- نشر التراث والأدب والفنون والآثار.

7- إتباع سياسة التعليم عن بعد. (محمد عباس، 2016، ص46)

وهكذا فإن بشبكة الانترنت تعتبر من أهم الاختراعات الكبيرة، في نطاق الثورة التكنولوجية، لما تقدمه من خدمات ولها العديد من الأدوات التي تساهم في التواصل بين الملايين من الناس عبر العالم، من خلال الاتصال بهذه الأدوات التي أصبحت تحتل المراتب الأولى في اهتمام المترددين عليها والتي يطلق عليها مواقع التواصل الاجتماعي، والتي تحتوي على العديد من الأدوات التي تجمع وتسهل الاتصال بين الكثيرين كالفيس بوك واليوتيوب وسناب ات.

2: مواقع التواصل الاجتماعي social media sites

تعد مواقع الشبكات الاجتماعية من أكثر المواقع التي تستخدم من قبل مستخدمي خدمة الانترنت، حيث تعتمد تلك المواقع على الاستفادة من تفاعلية شبكة الانترنت كوسيلة اتصال، وتتيح هذه المواقع لأعضائها تقديم أنفسهم والتعبير عن آرائهم وأفكارهم.

معظم المواقع الاجتماعية الموجودة حالياً، هي عبارة عن مواقع ويب تقدم مجموعة من الخدمات، مثل المحادثة الفورية والرسائل الخاصة والبريد الإلكتروني والفيديو والتدوين وغيرها من الخدمات، ولقد أحدثت هذه الأخيرة تغيراً كبيراً في كيفية الاتصال بين الأفراد والمجتمعات وتبادل المعلومات، حيث من شأنها تدعيم التواصل والتفاعل بين أعضاء المواقع الاجتماعية مثل التعارف

والصدقة والمراسلة والمحادثة الفورية وائاء صفحات وماركة الآخرين في الصور والفيديوهات والبرمجيات ... (لطرش، 2017، ص358)

وتعد المدونات والفيس بوك وتويتر واليوتيوب، من أبرز ملامح المواقع الاجتماعية، حيث تلعب هذه الأدوات الإعلامية في حشد الرأي العام، باعتبارها إعلام تفاعلي يتيح لكافة المستخدمين من خلاله القدرة على التعبير عن الرأي وتبادل المعلومات والأفكار والتعبير عن الذات بطرائق مختلفة لتصبح بمثابة آلية إعلامية.

2-1 الفاييس بوك facebook:

ترجع فكرة إنشاء موقع الفاييس بوك إلى صاحب هذه الفكرة وهو مارك زوكر بيرج، الذي أطلق هذا الموقع عام 2004، حيث قام بتصميم موقع على شبكة الانترنت ليجمع أصدقائه في جامعة هارفرد الأمريكية، ويمكنهم تبادل الآراء والأخبار والصور ويساعد على التواصل بينهم، وقد أطلق موقع الفاييس بوك النسخة العربية عام 2009، واحتل هذا الموقع المركز الثاني عالميا من حيث معدلات الدخول إليه وذلك حتى فبراير 2010.

ويعد هذا الموقع من أشهر وأكبر المواقع الاجتماعية على شبكة الانترنت، ويشارك فيه الملايين من مستخدمي الشبكة، ويتيح لهم إمكانية التعارف والتواصل الإلكتروني بمختلف أنواعه (مرئي، مسموع، مكتوب). (لطرش، 2017، ص359)

2-2 تويتر twitter:

ظهر موقع تويتر كمشروع تطوير بحثي أجرته شركة *obvious* الأمريكية، حيث يعد جاك دورسي صاحب فكرة إنشاء الموقع وكان ذلك عام 2006 وفي ابريل 2007 قامت الشركة بفصل الخدمة عن الشركة وتكوين مؤسسة جديدة باسم موقع التواصل الاجتماعي تويتر، وكان الموقع يهدف إلى إصدار مستخدميه بأحدث الأخبار والموضوعات المختلفة. (محمد عباس، 2016، ص53)

2-3 يوتيوب: YouTube

تأسس موقع اليوتيوب في فبراير عام 2005، في مدينة سان بورنو بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعد من أشهر المواقع الإلكترونية التي تضم عددا كبيرا من مقاطع الفيديو،

والتي يتم إضافتها ومشاهدتها من قبل المستخدمين، ولقد احتل المركز الرابع عالميا من حيث معدلات الدخول عليه.

4-2 سناب شات snapchat:

انتشرت في الآونة الأخيرة وسائل جديدة من وسائل التواصل الاجتماعي ، وتعددت فيها البرامج والتطبيقات الرقمية ، وسيطرت على اهتمام شريحة كبيرة من الشباب من ذكور وإناث وحتى الكبار ، ولا ينكر احد فائدتها على الفرد والمجتمع قد ساعدت في اختصار الساعات والمسافات، رغم خطورة بعضها خصوصا عند سوء استخدامها، ولعل آخر هذه الأدوات وحدث التطبيقات هو تطبيق سناب شات ويمكن تعريفه بأنه تطبيق رسائل مصورة وضعها ايفان بيجل، روبرت مورفي حيث يمكن المستخدمين من التقاط صور وتسجيل فيديوهات وإضافة نص ورسومات وإرسالها إلى قائمة التحكم والمتقين.

5-2 واتس آب whatsapp:

واتس اب هو تطبيق فوري محتكر، ومتعدد الاستخدامات للهواتف الذكية، ويمكن بالإضافة إلى الرسائل الأساسية للمستخدمين إرسال صور، الرسائل الصوتية، الفيديو والوسائط. (محمد عباس، 2016، ص55)

3: القيم الأسرية وموقع التواصل الاجتماعي:

3-1 مفهوم القيم:

يصعب الوقوف على الدلالات الاصطلاحية للقيمة وما تتضمنه من معان عند من يستعملونها كافة فقضية القيمة شائكة المسائل، كثرة التفرعات تضرب أصولها التاريخية إلى ما يزيد عن ألف وخمسمائة سنة، ذكرت في مداوات الفلاسفة وكانت إحدى قضاياهم المهمة التي درسوها وخاضوا فيها تنظيرا وبغض النظر عن مذهب الفلاسفة ورؤاهم تبقى القيم قضية الإنسان الأولى ومنطلق تفكيره، ومحط تأملاته، فجوهر الوجود الإنساني يقوم عليها، ويؤسس حولها، إذ لا معنى لحياة الإنسان بلا قيم تحكم تفاعله مع عوالم الأفكار والأشياء من حوله وعندما يتجرد الإنسان من قيمة

الفاضلة فانه يتجرد في واقع الأمر من حقيقة إنسانيته ومعناها ووجودها. (صفاء المسلماني، 2009، ص130)

وحتى لا نسهب في الحديث عن أهمية القيم سنعرض ثلاثة اتجاهات رئيسية لمفهوم القيمة:

أ-النظر إلى القيم باعتبارها مجموعة من المعايير التي يحكم بها على الأشياء بالحسن والقبح.

ب-النظر إلى القيم باعتبارها تفضيلات يراها الفرد.

ت-النظر إلى القيم باعتبارها حاجات، ودوافع، واهتمامات، واتجاهات، ومعتقدات ترتبط بالفرد.

2-3 الأسرة و اكتساب القيم والعادات:

إن الأسرة هي المسؤولة عن بث روح المسؤولية واحترام القيم، وتعويد الأبناء على احترام الأنظمة الاجتماعية ومعايير السلوك. فضلا عن المحافظة على حقوق الآخرين، واستمرارية التواصل ونبذ السلوكيات الخاطئة لدى أبنائها مثل: الغضب، والذي يعده البعض اتجاهها نفسيا جامدا، ومشحونا وانفعاليا.

فعلاقة الوالدين أحدهما بالآخر لها أهمية كبيرة في نسق اكتساب القيم من خلال التربية، وتوافقهما يحقق للأبناء تربية نفسية سليمة خالية من العقد والمشكلات التي تبدو واضحة للعيان أنيا، وإنما تظهر نتائجها بشكل واضح مستقبلا. ما القيم التي تعلمها الأسرة لأبنائها فهي عبارة عن مفاهيم تختص باتجاهات وغايات تسعى إليها كاتجاهات وغايات جديرة بالرغبة، وتعد القيم بمثابة معيار مثالي للسلوك الخاص بالفرد وذلك المعيار يوجه سلوكياته وتصرفاته وميوله.

3-3 القيم الأسرية وموقع التواصل الاجتماعي:

إن الكثير من الأسر تواجه العديد من التحديات فيما تجد من تأثير أبنائها بما يقرؤون أو يشاهدون أو يسمعون عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، وتمثله لبعض القيم التي قد لا ترضى عنها الأسرة في الكثير من الأحيان وتكون النتيجة إن ما تغرسه الأسرة من قيم أخلاقية تقتلعه تلك الوسائط الأخرى (صفاء المسلماني، 2009، ص64)، هذا من جهة ما من جهة ثانية هي العلاقات الأسرية وتربية الأبناء بحيث أصبح كل فرد من الأسرة بما في ذلك الأبوين مشغول بهاتفه عن الآخر حتى أحدثت ما يسمى بالفجوة والابتعاد رغم تواجدهم بمكان واحد ما جعل الآباء يقصرون بعملية

التربية وتلقين الأبناء للقيم ومعايير المجتمع الذي ينتمون له وقد طال هذا التقصير حتى لأهم وظيفة تسند للأسرة وهي التنشئة الاجتماعية، لقد حل العالم الافتراضي على الأسرة بالقدر الذي غابت فيه اللقاءات الأسرية التي كانت إلى وقت ما يجتمع في أفرادها حول شخصية معينة من الأسرة، أو حول موضوع للنقاش، ببساطة داخل سقف واحد قد لا يتفاعل الأفراد إلا على نحو افتراضي، الأمر الذي يغيب معه الكثير من القيم. (فهيمه بن عثمان، 2018، ص99)

إن الإنسان يكتسب عادة الأساليب السوية للسلوك والتفكير من خلال التفاعل الاجتماعي والاحتكاك بالآخرين وإن الأبوين هما في العادة الوكلاء الأوائل الذين يقومون بعملية التطبيع الاجتماعي ويمثلان خبرة للطفل وفي حالة العلاقات العائلية المناسبة فإن الطفل يستجيب للأبوين ويستجيبان له، لكن إن كانت هاته العلاقات افتراضية محصورة في الهاتف كمجال للتفاعل فهذا ينقص من عملية التواصل الفعال بين أفراد الأسرة بحيث تنتج عنه العديد من المشاكل والجرائم والانحرافات في الوسط الاجتماعي فيتغير الهرم القيمي بحيث تنخفض وتيرة بعض القيم كالاحترام والضبط والحب وهذا الخلل في الهرم القيمي يتسبب في التغير المفاجئ الذي ينجم عنه نمو لاتجاهات معارضة لما هو مقبول اجتماعيا ومن خلال بعض الدراسات التي تمحور موضوعها حول مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم الأسرية اتضح أن:

-مواقع التواصل الاجتماعي وبالأخص الفاييس بوك يأخذ الكثير من الوقت المخصص للعائلة، أخذت من وقت الأم والأب والأبناء على حد سواء، خاصة إذا تم الدخول إليها +بواسطة الهاتف الذي يسهل حمله واستعماله حتى أثناء الجلسات الأسرية، حيث يحضر الفرد في بعض الأحيان بالجسد ويغيب بالفكر والعقل اللذان يكونان في العالم الافتراضي بعيدا عما يدور في الأسرة من اهتمام وحوار.

- يجد بعض أفراد الأسرة ما يليهم ويعوضهم في العالم الافتراضي، فهو بمثابة البديل عن العالم الحقيقي، يفضلون فيه ويثبتون وجودهم ويعبرون عن آرائهم ومشاكلهم وطموحاتهم، وفيه يتسلون ويدردشون مع الأصدقاء.

- الليل هو أوج الأوقات استعمالا لمواقع التواصل الاجتماعي وهو الوقت الذي يفترض أن يخصص للأسرة، والجلوس مع أفرادها وتفقد أحوالهم الصحية والنفسية والدراسية. ول كن الواقع أن كل

واحد من أفراد الأسرة يسهر في عالمة الافتراضي مع أصدقائه الافتراضيين، كل يفضل أن يكون بمفرده، فلا رغبة في الجلسات العائلية ولا في الزيارات العائلية بين الأقارب.

- وسائل التواصل الاجتماعي تشجع على الانطواء والعزلة والانشغال بنشاطات الالكترونية، بدلا من العلاقات الطبيعية والنشاطات الاجتماعية في عالم الواقع. (فهيمه بن عثمان، 2018، ص113)

4: دور مواقع التواصل الاجتماعي في إحداث التغيير:

تكمن أهمية الدور في البحوث التي تعنى بموضوعات العصر مثل: تنامي دور الشباب في رسم خريطة التغيير السياسي في الوطن العربي.

مواقع التواصل الاجتماعي التي من الممكن إذ وظفت بالطريقة السليمة فأنها من الممكن أن تساهم في إعلاء المعرفة والنقد والمراجعة والحوار الذاتي وهي القيم التي ينطلق منها أي مشروع تنموي ثقافي، فهي إعلاما بديلا أي الموقع الذي يمارس فيه النقد وتوليد الأفكار وأساليب ذات أهمية وأيضا طرقا جديدة للتنظيم والتعاون والتدريب بين أفراد المجتمع.

4-1 مواقع التواصل الاجتماعي المكان الافتراضي والزمن الميدياتيكي :

أصبحت تتشكل بفضل شبكة الإنترنت فضاءات تواصلية عدة هي بمثابة أمكنة افتراضية، نتحدث عبر غرف الحوار وال دردشة، بدون حدود وبدون تاريخ، نتعامل مع هذه الفضاءات بعدها أمكنة، ذات شحنة ثقافية يكون الحوار والتواصل أساسها. ويعدّ المكان الافتراضي مصطلحا حديث التداول الفكري، "ويقصد به كل ما له صلة بالفضاء التخيلي، بشقه المادي والمتمثل في إبداع سبل جديدة في هندسة تكنولوجيات الافتراضي وبشقه الاعتباري، يضم أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء جديدة أخرى".

ومن بين مزايا المكان الافتراضي هو نهاية فوبيا المكان، إن الخوف من المكان دليل على تملكنا لمكان آخر، وعندما ندخل في منظومة المكان الافتراضي نصبح لا نخشى شيئا بحكم عدم مقدرتنا على تملك الافتراضي باعتباره فضاء، لذلك وصفت شبكة الإنترنت كفضاء افتراضي بأكثر الأمكنة تحررية، وعدم مقدرة أي طرف امتلاكها (الزرن، هندسة المكان الافتراضي منتجة للخطاب الثقافي، مدونة مقعد وراء التلفزيون)

ومن الخصائص البارزة للإنترنت، تتجلى في قيام نظام الإنترنت، على معادلة زمنية تجمع في الوقت ذاته، السرعة اللحظية، وسرعة الطواف، وهذا ما عنه البعض بالزمن العالمي الذي هو بمثابة الزمن العابر "للحدود بين القارات والمجتمعات واللغات عبر طرقات الإعلام المتعدد، التي تنقل الصور والرسائل بالسرعة القصوى من أي نقطة في الأرض إلى أي نقطة أخرى"، ويقابل هذا الزمن، ما أسماه الدكتور عبد الله الحيدري "بالزمن الميدياتيكي"، وصورة ذلك هو أنّ حياة الفرد اليوم ظلت متصلة اتصالاً لا فكاك منه بوسائل الإعلام والاتصال الإلكترونية إلى حدّ تفكك الروابط الحميمة الأسرية والاجتماعية الأخرى.

فالزمن الميدياتيكي هو الزمن الذي نحققه في صلاتنا المستمرة مع وسائل الاتصال بوصفنا أفراداً اجتماعيين ولا يعدو أن يكون زمناً وسائطياً لاعتمادنا، في الإنتاج والتفكير والتواصل والتفاعل، على تقنيات الإعلام والاتصال، ويحتضن ميول الأفراد واتجاهاتهم بوصفهم متابعين، مستهلكين ومنتجين للصناعات الإعلامية المتدفقة بأقدار لم يشهدها تاريخ صناعة المضامين، كلّ مجتمع ينتج تمثله للزمن عن طريق الأنشطة التي يقوم بها، في المقابل كل مجتمع تقوده منظومة القيم الميدياتيكية إلى بناء تمثله للزمن (الحيدري، ما المقصود بالزمن الميدياتيكي؟، مدونة أجيال).

ويتسم المجتمع الافتراضي بمجموعة من السمات الآتية:

1- المرونة وانهار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي، فالمجتمع الافتراضي لا يتحدّد بالجغرافيا بل بالاهتمامات المشتركة التي تجمع معاً أشخاصاً لم يعرف كلّ منهم الآخر بالضرورة قبل الالتقاء إلكترونياً.

2- لم تعد تلعب حدود الجغرافيا دوراً في تشكيل المجتمعات الافتراضية، فهي مجتمعات لا تنام، يستطيع المرء أن يجد من يتواصل معه في المجتمعات الافتراضية على مدار الساعة.

3- ومن سماتها وتوابعها أنّها تنتهي إلى عزلة، على ما تعد به من انفتاح على العالم وتواصل مع الآخرين. هذه المفارقة يلخصها عنوان كتاب لشيري تيركل "نحن معاً، لكننا وحيدان/ وحيدون: لماذا أصبحنا ننتظر من التكنولوجيا أكثر مما ينتظر بعضنا من بعض؟" (محمد مزيد، 2012). فقد أغنت الرسائل النصية القصيرة، وما يكتبون ويتبادلون على الفاسبوك والبلاتك ييري عن الزيارات. من هنا لم تعد صورة الأسرة التي تعيش في بيت واحد بينما ينهمك كلّ فرد من أفرادها في عالمه

الافتراضي الخاص، لم تعد مجرد رسم كاريكاتيري، بل حقيقة مقلقة تحتاج مزيداً من الانتباه والاهتمام.

4- لا تقوم المجتمعات الافتراضية على الجبر أو الإلزام بل تقوم في مجملها على الاختيار

5- في المجتمعات الافتراضية وسائل تنظيم وتحكم وقواعد لضمان الخصوصية والسرية، قد يكون مفروضاً من قبل القائمين، وقد يمارس الأفراد أنفسهم في تلك المجتمعات الحجب أو التبليغ عن المداخلات والمواد غير اللائقة أو غير المقبولة.

6- أنها فضاءات رحبة مفتوحة للتمرد والثورة – بداية من التمرد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسية.

7- تتسم المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدرج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدية. ولا يقتصر تفكيك الهوية على الهوية الوطنية أو القومية بل يتجاوزها إلى الهوية الشخصية، لأن من يرتادونها في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب (محمد زيد، 2012).

جدلية قيم حتمية تقنية الاتصال والمجتمع:

يكنم النظر للتغير الاجتماعي برؤية "حتمية" التحول في ثلاثة مسارات. أولهما، ما يعرف "بالحتمية التقنية وثانيتها، ما يعرف بالحتمية الاجتماعية وإن لكلا المسارين وجهات نظر تدعم تفسيره، إلا إن التفسير الذي قدمه بعض المفكرين "في اختلاف معدل التغير في كل من الثقافة المادية واللامادية، نتيجة التأثير التقني في المجتمعات يعدّ الأساس في التحليل الاجتماعي لتقنية الاتصال"، مع احتمال "حدوث تصادم بين التغير التقني والتغير الثقافي"، ويترتب عليه خلل وظيفي مما يؤثر في تفكير أفراد المجتمع، وتتوتر القيم والإيديولوجيات السائدة. (رحومة، 2007، ص 81)

وتبرز الحتمية الاجتماعية في مقابل الحتمية التقنية على أساس "أن القوى الاجتماعية بأنواعها تمتلك زمام تطور التكنولوجيا، وتؤثر في تطويرها وتوجيهها. واشتهر في هذا الاتجاه، الأمريكي لزي وايت". وقدم وايت الطرح التالي: "إن النسيج الاجتماعي هو الثقافة المتقدمة بخطى التكنولوجيا،

وتبنى المجتمعات البشرية ثقافياً بواسطة المادية التكنولوجية، وتبنى اجتماعياً بفعل التطور الاجتماعي، بمعنى جدلية الاجتماع/ التقنية. (رحومة، 2007، ص 83)

وتعدّ وسائل الاتصال عنصراً أساساً في المجتمع، لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة "الحتمية"، وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر. وتؤدي الثقافة اللامادية، كالإيديولوجيات السياسية والاجتماعية إلى تغير واسع في حياة المجتمع، أكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التكنولوجي، ولكن يصعب قياس هذه التغيرات "التغير المادي واللامادي"، مما أدى إلى إطلاق النظرة النسبية. ثم ظهر مفهوم الحتمية المعلوماتية في بداية الألفية الثالثة، إذ "لم يعد يقاس مدى تقدم الدول، على أساس نتائجها القومي، بل: إجمالي نتائجها المعلوماتية القومي". وأهم المفكرين في هذا، هو سكوت لاش عالم الاجتماع، إذ اهتم بالتغير المعاصر في عصر "ما بعد الحداثة"، ونبه إلى تناقض عصر ما بعد الحداثة، لأنه يفرض على الإنسان صعوبة العيش فيه دون أدواته الاتصالية التي تربطه بالمجتمع. فمثلاً، "لا نستطيع العمل من دون هاتف نقال، أو الحاسوب، ..."، أي أشكال تقنية للحياة الاجتماعية. ويؤكد سكوت لاش "أنه أصبح لإشكال الحياة خصائص جديدة عن طريق العمل بالتكنولوجيا، وأهم هذه الخصائص: هي أن "تسطح أشكال الحياة، ويتفاعل كل شيء عن طريق وسائل الاتصال (رحومة، 2007، ص 86)

ولا يمكن القول إن عوامل التغير يمكن تحليلها بعامل وحيد، إذ يبين الواقع تساند عوامل عدة، "اقتصادية، وتعليمية، وأيدي عاملة، وجغرافية، وتكنولوجية، وقادة مخلصون، وإعلام مسؤول، وإيديولوجيا موجبة"، تتفاعل هذه العوامل لإحداث التغير. لذلك يصعب تحديد العامل الفاصل في التغير، بشكل ديناميكي عبر الزمن. "ولكن نستطيع القول إن الثقافة فقدت السيطرة على المجال التقني، وتحولت إلى أداة تطوع ما تفرضه هذه التكنولوجيا من متطلبات. وبرز ذلك في تقليد "الحتمية التقنية" ثم لاحقاً في "الحتمية الإعلامية".

2-4 سوسيولوجيا المجتمع الرقمي:

ما يرفع الفكر العربي المعاصر معرفياً من شأن فكرة الاتصال، ليظهر علينا الاتصال الرقمي مع بداية الألفية دون سلاح معرفي نحتمي به. ولأتمكن قيمة الاتصال فيما في الفكرة من قيمة علمية أو سياسية أي ما في الإنتاج الفكري من صحة أو خطأ بل في التسويق لها، حسب المفهوم الحديث

للمعرفة لتداول مضامينها ليترك الحكم للمجتمع وحده وهل به المناعة الثقافية الكافية "لغريلة" المضامين قبل الحكم على الوعاء. أن الحكم القيمي على الأفكار هو حكم قيمي على التقنية أيضا التي لا يجب أن نحد من انتشارها وإلا ستنمو سوقا سوداء لأفكار متطرفة، وإرهابية.

وتاريخيا لا يمكن أن نتجاهل أن الحكم القيمي ذو الخلفية الدينية أو السياسية أو الثقافية هو الذي كان وراء إقصاء أكثر من فكرة داخل المجتمعات العربية باسم الدين أو الهوية أو معاداة الاستعمار أو الإمبريالية (الزرن)، أنسنة والثقافي في تكنولوجيا الاتصال والفضاء العام مدونة مقعد وراء التلفزيون).

إن التلاحق الحضاري الذي ولّده انتقال المعلومة عبر الانترنت قد رسخ قيم وثقافة البلد المصدّر للمعلومة والتكنولوجيا في آن واحد، وينشأ عن هذه الحتمية التكنولوجية حالة ما يسمى بالصدمة الالكترونية التي سرعان ما تتحول بالبلدان المستوردة من الانبهار بالواقع الافتراضي إلى الاصطدام بالواقع الحقيقي للبلد المصدّر. ولعل من بين الأسباب القوية للتفاوت الرقمي بين دول الشمال والجنوب يحتل عامل الأمية المسؤولية واسهم في اتساع الهوة الرقمية .

وأبضا عربيا يعود سبب تعطل آلة التسويق لتبادل الأفكار إلى عنصرين متلازمين يمكن تلخيصهما في إشكالية وعي الحرية وإدراك التقنية وهي معضلة فكرية إجرائية في كيف يمكن أن نفهم أن لا قيمة للفكرة مهما كانت طبيعتها إلا إذا شاعت بين الناس. وحتى يمكن بلوغ ذلك فلا بد أن تكون حركة الوسائط الحاملة للأفكار "التقنية" شائعة الملكية وتحررية من حيث المضمون. إن تخلف الديمقراطية وممارستها في الوطن العربي لا يعود فقط إلى حصرها في بوتقة الشعار السياسي بل إن التخلف الديمقراطي يعود أيضا إلى تخلف في فهم أوعية الديمقراطية ووسائطها في الفكر العربي. ويؤدي هذا الرفض إلى نبذ انتشار الفكر وشيوعه وتداوله لأن التداول على السلطة وهو العمود الفقري للديمقراطية بالمفهوم الحديث ما هو إلا تداول على أفكار وتصورات ومناهج في كيف ندير الشأن العام بعد أن يقول الشعب كلمته فيمن ينوبه عبر الاقتراع. ولا قيمة للاقتراع الذي يضي إلى تداول السلطات والرؤساء والبرلمانات والحكومات إذا لم تتوفر معركة فكرية عادلة على واجهة وسائل الإعلام التي هي الفيصل في تقريب صورة كل طرف سياسي إلى المواطن مهما كانت خلفيته الثقافية عن مشكلات الشأن العام (الزرن)، أنسنة والثقافي في تكنولوجيا الاتصال والفضاء العام مدونة مقعد وراء التلفزيون).

وإن إعلاما واتصالا لا يسهم في تحديد أوليات المجتمع السياسية والثقافية والاقتصادية لا يمكنه أن يكون فاعلا في أي مشروع يسعى لتداول سلمي على السلطة كنتيجة حتمية لتداول أهم التصورات حول كيف ندير الشأن العام بالاعتماد على الرأي العام الذي تسهم وسائل الإعلام الحرة في بلورته بشكل محايد وموضوعي بعيدا عن أي توظيف اقتصادي أو سياسي.

في النهاية فإن المجتمعات-سوسيولوجيا- تعدّ ظاهرة على قدر كبير من التعقيد حتى نجزم أنه من السهل أن تأتي نماذج سياسية أو اقتصادية أو فكرية قادرة بكل بساطة وبالاعتماد على التقنية الذكية للاتصالات على إحداث تغيير وبشكل جذري في بنية المجتمعات انطلاقا فقط من كونها تقنية فعالة حتى وإن كانت هذه التقنية في مجال الإعلام. إن بين الظاهر تقنيا في الاتصال اليوم والنتيجة الاجتماعية غدا تظهر اختلافات قد تصل في بعض الأحيان إلى التناقض (الزرن، أنسنة والثقافي في تكنولوجيا الاتصال والفضاء العام، مدونة مقعد وراء التلفزيون) إن حركة المنظمات المهنية والجمعيات الأهلية والمجتمع المدني والفرد وهي ما يمكن أن نطلق عليها بالفعل السوسيولوجي عنصر فعال ومحدد أساس في مسيرة التقنية الاتصالية في علاقتها بالموروث الإعلامي .

ويمكننا القول أيضا بأن هذه الشبكات قد أسهمت في رفع مستوى الوعي لدى الشعوب، وتأكدها من أنها هي مصدر الشرعية، تمنحها لمن تشاء وتزيحها متى بدا لها ذلك. وأن هذه الشبكات قد أفرزت قيما جديدة، لعل أهمها بالمطلق القبول بالآخر في تنوعه واختلافه وتباينه، مادامت المطالب موحدة والمصير مشترك. ويمكننا القول بالمحصلة، إن هذه الشبكات أبانت بأن ثمة شعوبا حية ويقظة، حتى وإن خضعت لعقود من الظلم والاستبداد.

5: مخاطر موقع التواصل الاجتماعي واليات الوقاية:

أ- مخاطر موقع التواصل الاجتماعي:

يتفق علماء لاجتماع والتربويون أن تكنولوجيا الاتصال وثورة المعلومات، قد أثرت تأثيرا بالغاً على الأفراد، لكنهم يختلفون في تحديد طبيعة هذا التأثير، ذلك أن بعضهم يرون الكثير من الايجابيات التي تجنى من التطور في تكنولوجيا الاتصالات في حين يرى البعض الآخر العديد من السلبيات الخطيرة تواجه الشباب نتيجة هذا التطور.

إجمالاً يمكن رصد مجموعة من المخاطر التي تهدد استقرار الفرد ودوام عافيته وهي كالتالي:

- عزلة الأفراد اجتماعياً وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتاً طويلاً في التعامل مع الكمبيوتر والانترنت بطريقة لافتة تستدعي الاهتمام بما ينطوي عليه ذلك في الكثير من الأحيان عن حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية. (العقبى، 2016، ص 223)
- الإصابة بأضرار نفسية واجتماعية نتيجة لإدمان الانترنت كالدخول في عالم وهمي بديل تقدمه شبكة الانترنت مما يسبب أثار نفسية هائلة، حيث يختلط الواقع بالوهم، أو الانسحاب الملحوظ للفرد من التفاعل الاجتماعي نحو العزلة، أو التأثير في الهوية الثقافية والعادات والقيم الاجتماعية للفرد ومشاكل أخرى مختلفة. (العقبى، 2016، ص 225)
- الترويج لسلوكيات وأفعال متأثرة بالغرب وهنا نتحدث عن التقليد الأبله والأعشى الذي ينس الفرد عاداته وأصوله الثقافية وذلك دون تمحيص ووعي لما هو مفيد ونافع.
- المظهر والملبس كأسلوب حياة جديد يتبناه الفرد مع تهوي كل ما كان عليه من قبل.
- اللامبالاة وعدم الاكتراث بتحديد الأهداف المستقبلية أي فقدان المعنى والإحساس العام باللاهوتية في الحياة، وعدم الرغبة في الماركة الفعلية في مجال من المجالات المختلفة.
- انتشار ثقافة العنف وذلك من خلال ما يبث في البرامج المتداولة على مواقع التواصل الاجتماعي من أفلام وموسيقى تافهة ورقصات خليعة وأغاني متدنية. (درويش، 2016، ص 46)

ب- كيف تتم عملية الوقاية من مخاطر مواقع التواصل الاجتماعي؟

إذا ما تكلمنا عن الوقاية والحماية فستكون بالدرجة الأولى في كنف الأسرة أي بين أسوارها لأنها هي الخلية الأولى المسؤولة عن الحماية وتجنب المخاطر وهذا ما دفعنا إلى الاهتمام بها أكثر من غيرها في هذه العملية.

يجب على الوالدين عندما يبدأ أبنائهم بالجلوس على الحاسوب والدخول إلى شبكة الإنترنت أن يخبروهم أنه لا يوجد ما يمنع ذلك، ولكن يجب وضع بعض الشروط قبل الدخول إلى الإنترنت، ومن هذه الشروط الآتي:

يجب إخبار الأبناء عن عدم إعطاء أي معلومات تخص الأسرة كعنوان المنزل، أو الاسم، أو رقم الهاتف، فربما يستخدمها بعض الأشخاص في عملية ابتزاز للأباء، أو عملية سرقة للحسابات البنكية أو بطاقات الائتمان. عند شعور الأبناء بوجود مواقع غير جيدة تظهر لهم على الإنترنت، فيجب إخبار الآباء عن هذه المواقع، ومن ثم يقوم الآباء بعمل حظر لهذه المواقع الإلكترونية والكثير من المواقع الشبيهة بها. عدم القبول بصداقة أي شخص على مواقع التواصل الاجتماعي دون معرفة الوالدين، فربما يقوم بعض الأصدقاء على هذه المواقع بنشر صور أو تعليقات فاسدة تضرُّ بالأبناء. عدم الانفعال أو الغضب في وجه الأبناء في حالة حدوث أي شيء خاطئ، فمعرفة الأبناء أن إخبارهم بأشياء خاطئة حدثت معهم لن يؤدي إلى غضب الآباء المفرط فيه، فذلك يؤلّد الثقة المتبادلة بين الأبناء والآباء. يجب علينا تنبيه أبنائنا بعدم صحة كل المعلومات الموجودة على الإنترنت، وعدم الإعجاب بأي شيء يُنشر على مواقع التواصل الاجتماعي ومشاركته. عدم السماح لهم بالمشاركة في الدردشة على مواقع التواصل الاجتماعي، فبعض الأصدقاء على هذه المواقع ربما يستخدموا تلك الدردشة في الابتزاز من أجل النقود، أو في استغلال الفتيات في بعض الأمور السيئة. الحرص على إيجاد المواقع المفيدة التي تنمي مواهب أبنائنا، فالإنترنت مليء بهذه المواقع المفيدة والتي يتبناها أشخاص لهم خبرات في التعامل مع الأطفال والمراهقين. استخدام برامج الحماية وبرامج المراقبة الأبوية، والتي تسمح بعدم سرقة البيانات والدخول إلى المواقع التي يتم تصنيفها على أنها ضارة من قبل الأبوين. تحديد بعض الأوقات للجلوس على الإنترنت والتي يكون فيها الوالدين متفرغين لأبنائهم وقادرين على الاطلاع على ما يشاهده الأبناء من وقت لآخر. (زماري، كيفية الوقاية من مخاطر الانترنت، 2017)

الرقابة لا تعني المنع: قد يجد بعض الآباء أن منع دخول الإنترنت إلى البيت هو الحل الأفضل من الرقابة أو الإشراف الأسري، وربما يفضل البعض أن يمنعوا الأبناء من الجلوس على شبكة الإنترنت، وهذا ما لا ننصح به، فالإنترنت رغم المساوئ الكثيرة التي توجد فيه، غنيٌّ بالأفكار التي تفيد الطفل والتي تستطيع تنمية مواهبه وقدراته، ونستطيع من خلاله أن ننشئ جيلاً قادراً على مواكبة العصر الذي نعيش فيه، والذي يتميز بالسرعة والتطور الهائل والذي لا يستطيع الإنسان الانعزال عنه. (زماري، كيفية الوقاية من مخاطر الانترنت، 2017)

خاتمة:

مع دخول او غزو الانترنت للعالم وما تحمله من تغيرات وثورات فكرية ، استطاعت ان تبذل فكر واتجاهات الشباب على نحو عالمي كوني وهنا تكمن الخطورة في إرساء قيم وثقافات مضادة لا تتناسب والثقافة الأصلية كترسيخ قيم العزلة والانطواء والإحباط وعدم وضوح الرؤية للمستقبل وغيرها...ومن ثم تقع المسؤولية على العديد من المؤسسات الاجتماعية وعلى رأسهم الأسرة في الإصلاح والتعديل ما تم تغييره وإرساءه في العقول والسلوك ، ومحاربة الأفكار الهدامة والسطحية .

قائمة المراجع:

- 1-الحيدري، عبد الله الزين، ما المقصود بالزمن الميدياتيكي؟، مدونة أجيال.
- 2-العقبي الأزهر، نوال بركات، 2016، نمط العلاقات الاجتماعية في ظل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بين الحقيقي والافتراضي مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد التاسع عشر، ص 46.
- 3-الزرن، جمال، بدون تاريخ، أنسنة أو الثقافي في تكنولوجيا الاتصال والفضاء العام، مدونة مقعد وراء التلفزيون.
- 4-الزرن، جمال، بدون تاريخ، هندسة المكان الافتراضي منتجة للخطاب الثقافي، مدونة مقعد وراء التلفزيون <http://www.jamelzran.jeeran.com>.
- 5-المسلماني، صفاء، 2009، علم الاجتماع التربوي نظرة معاصرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية للنشر.
- 6-بن عثمان ، فهيمة، 2018، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير القيم الأسرية: الفيسبوك أنموذجا، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد سبع وأربعون.
- 7-درويش، نور علي سعد، 2016، قيم وخصائص مدمني الانترنت، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- 8-رحومة، علي محمد، 2007، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- 9-زماري، محمد، كيفية الوقاية من مخاطر الانترنت، موقع موضوع، <https://mawdoo3.com>.
- 10-محمد عباس، منال، 2016، القيم الاجتماعية في عالم متغير الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر.
- 11-لطرش، نجوى، 2017، استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على القيم الأسرية لدى الشباب الجامعي، مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، 355-372.
- 12-مزيد بهاء الدين محمد، 2012، المجتمعات الافتراضية بديلا للمجتمعات الواقعية، الإمارات: جامعة الإمارات العربية.